أزمة بنزرت التونسية 1961م من خلال جريدة المجاهد الجزائرية

طاعة سعد
جامعة معسكر، saadunv@yahoo.fr

الملخص:

لم تتوان الحكومة الفرنسية في محاصرة الثورة الجزائرية في الداخل والخارج،وما الاعتداءات المتكررة على تونس إلا دليلاً على النهج الإجرامي الذي رسمته بغرض التسلط وفرض الهيمنة والتواجد في شمال إفريقيا وخنق الثورة، ونظراً لتذمر حكومة الاحتلال من وقوف تونس إلى جانب الثورة الجزائرية،بدأت القوات الفرنسية المرابطة في بنزرت بفرض حصار على المدينة مما أدى إلى أزمة بين الحكومتين الفرنسية وتونسية سنة 1961م،تحولت إلى معركة ومجابهة بين القوات الفرنسية والشعب التونسي،وفي ظل هذه الظروف المعقدة وقفت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مع محنة بنزرت،وحاولت أن تقدم يد العون إلى الجمهورية التونسية رغم استمرار ثورتها،وهذا ما أبرزته جريدة المجاهد في كثير من المقالات.

الكلمات المفتاحية : المجاهد الجزائرية ؛ أزمة بنزرت ، المفاوضات ؛ الدعم المادي والمعنوي؛ الحبيب بورقيبة ؛ معركة الجلاء؛ التضامن الدولي ؛ استقلال تونس ؛ الثورة الجزائرية.

Abstract

The French government did not hesitate in Surrounding the Algerian Revolution internally and externally. Best proof of this are the multiple aggressions against Tunisia, and the criminal plan followed by France to dominate North Africa, and destroy the Algerian Revolution.

Given the French Dislike of Tunisia´s support to Algerian Revolution, the French armies stationed in Bizerte to surround the city which led to a Crisis between the two governments: Tunisian and French in 1961.Crisis that ended up to a real Battle between, French Forces and Tunisian people .Under these circumstances, Algerian transitory government of the Algerian Republic. Stoop up with the Tunisians in this tragically and tried to give material and moral Helps to the Tunisian Republic, despite the continuation of its own Revolution and that´s what is shown by the daily newspaper ELMOUDJAHID in many of its articles.

Keyword: Almoudjahid; Bizerte; Bourguiba; Solidarity; Algeria.

مقدمة : شهدت منطقة المغرب العربي موجة استعمار حديث، مثلته القوى الاستعمارية التقليدية على رأسها فرنسا، اسبانيا، ايطاليا وتعرضت بالخصوص الجزائر إلى النظام الاستيطاني الفرنسي، وتونس إلى نظام الحماية الفرنسية،ووجب على هذه الأقطار مواجهة هذا الخطر في شكل مقاومات، تعددت وسائلها وأساليبها مرة بواسطة المقاومة الشعبية ومرة أخرى بواسطة العمل السياسي، الذي مثلته الأحزاب الوطنية، ولكن ما يميز هذه المواجهة ذلك التضامن والتلاحم النضالي الذي جمع أقطاره خاصة بين الشقيقتين الجزائر وتونس، وكان من أهم محطاته هو مطالبة النجم الشمال الإفريقي في برنامجه لسنة 1927م حق تقرير مصير شعوب شمال إفريقيا وذلك بحصولها على الاستقلال الوطني، وفي سنة 1947م ظهر نشاط لجنة تحرير المغرب العربي والتي طالبت بتحرير الأقطار الثلاثة من الاستعمار الفرنسي، ولما بدأت الثورات المسلحة فيها سنة 1954م تأكد هذا التضامن بوقوف هذه الدول مع بعضها البعض، وهذا ما وضحه بيان أول نوفمبر1954م حيث جاء في افتتاحيته ما يلي:" نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا ومقومات وجهة نظرنا الأساسية، التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي...إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد، فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحرري في شمال إفريقيا، ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة والعمل، هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق بين الأقطار الثلاثة "(أزغيدي محمد لحسن ، 1989: 65). ومع استمرار الثورة في الجزائر وحصول كل من تونس والمغرب على استقلالهما سنة 1956م، فإن حكومات هذه البلدان لم تبق مكتوفتي الأيدي حيال التواجد الاستعماري في الجزائر، بل راحتا تقدمان كل الدعم مما عرض تونس إلى الاعتداء من قبل قوات السلاح الجوي الفرنسي في 08 فيفري 1958م على قرية ساقية سيدي يوسف الواقعة على الحدود الجزائرية التونسية، مما أثار موجة سخط ضد فرنسا في دول عديدة، وبررت الحكومة الفرنسية العدوان بأنها تستهدف المجاهدين الجزائريين الذين جعلوا من هذه القرية مركزاً مهماً للتدريب .

لم تتوان الحكومة الفرنسية في محاصرة الثورة الجزائرية في الداخل والخارج، وما الاعتداءات المتكررة على تونس إلا دليلاً على النهج الإجرامي الذي رسمته بغرض التسلط وفرض الهيمنة والتواجد في شمال إفريقيا، ونظراً لتذمر حكومة الاحتلال من وقوف تونس إلى جانب الثورة الجزائرية، بدأت القوات الفرنسية المرابطة في بنزرت بفرض حصار على المدينة مما أدى إلى أزمة بين الحكومتين الفرنسية وتونسية سنة 1961م، فكان الموقف الجزائري الثوري من القضية واضحاً منذ البداية وهو الوقوف إلى جانب تونس في محنتها .

التعريف بجريدة المجاهد :رأت الثورة الجزائرية بعد مرور حوالي سنتين من اندلاعها ضرورة إنشاء صحافة مكتوبة تابعة لها تنطق باسمها وتشرح مواقفها وتتبع أخبارها، فأصدرت في البداية جريدة أطلقت عليها اسم "المقاومة الجزائرية" وكانت تنشر في تونس والمغرب، وبعد ذلك دعمت هذه الجريدة بجريدة أخرى وهي جريدة "المجاهد" التي ظهرت في شهر جوان 1956م " في مدينة الجزائر وقد صدرت بالفرنسية ثم ترجمت بعد ذلك إلى العربية، وكانت في حجم يزيد قليلاً عن الكراسة وعدد صفحاتها لا يتجاوز ست صفحات، وقد احتفظت بنفس الشكل وطريقة الإخراج في الأعداد للسنة الأولى، واستمرت تصدر بطريقة غير منتظمة حسب الإمكانات والظروف حتى أوائل 1957م" (عواطف عبد الرحمن، 1985: ص 54) ، وتوجد نسخ في أرشيف ولاية وهران، ويبدو من خلال الواجهة أن العدد الأول صدر باللغة الفرنسية بتاريخ 15 جوان 1956م، كُتب في أعلى الصفحة كلمة المجاهد (Elmoudjahid) وفي وسط الصفحة محتويات العدد، وفي أسفلها سعر الجريدة والذي قُدر بمائة فرنك فرنسي، وأعداد من هذه الجريدة قد طُبع ببلغراد اليوغسلافية (El moudjahid, Office Des Publications, Belgrade,1956)، ويمكن تقسيم تطور هذه الجريدة إلى ثلاث مراحل أساسية إبان الثورة التحريرية، المرحلة العاصمية والتي دامت تقريباً ثمانية أشهر من جوان 1956م إلى يناير 1957م وبعد إضراب الثمانية أيام تم اكتشاف مقر جريدة المجاهد مما أدى لتوقفها أما المرحلة الثانية وهي المرحلة المغربية، إذ عادت قيادة الثورة إلى إصدار هذه الجريدة مرة أخرى وكان ذلك في شهر يوليو 1957م وكان مقرها في مدينة تيطوان المغربية، واستمرت هذه المرحلة إلى غاية شهر سبتمبر

1957م. أما المرحلة الثالثة وهي المرحلة التونسية وتبدأ من شهر نوفمبر إلى غاية وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962م، حيث دخلت إلى الجزائر واتخذت من البليدة مقراً لها إلى غاية شهر مايو 1962م، تحولت هذه الجريدة رسمياً إلى اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني ابتداء من شهر يوليو 1957م، وذلك بقرار من لجنة التنسيق والتنفيذ حيث ستتولى شرح الثورة الجزائرية التي تعبر عن إرادة اثني عشرا مليونا من النساء والرجال، كانت في نسختين باللغتين العربية والفرنسية وكانتا منسقتين تنسيقاً وثيقاً، وبعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية 1958/09/19م أصبحت النسختان من الناحية العملية صحيفتين متميزتين (المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م"، 1997 : 217) إلا أنهما خاضعتان لخط سياسي واحد وهو خط جبهة التحرير الوطني. أما التسمية فقد وضحته في افتتاحيتها بالعدد الأول،فهي لا تقصد باتخاذها اسم المجاهد إلا إثباتاً وإقرارا لهذه الكلمة المجيدة التي أطلقها الشعب برمته ومن تلقاء نفسه منذ الفاتح من نوفمبر 1954م على الأبطال المقاومين الذين حملوا السلاح لكي تكون الجزائر حرة ديمقراطية مستقلة، وتوضح في الآن نفسه أن اختيار هذا الاسم كان بعيداً عن أي تعصب ديني، واحتلت جريدة المجاهد مكانة هامة جداً في تاريخ الثورة الجزائرية .

أزمة بنزرت 1961م: تعرضت تونس إلى الاحتلال الفرنسي بعد توقيع معاهدة باردو، والتي " نصت على أن الحماية في جوهرها نظام وقتي، وأن مصالح الفرنسيين الناتجة عن هذا النظام المؤقت لا يمكن بحال أن تكون لها صفة الدوام والاستقرار، وحيث إنه من جهة أخرى لا يمكن لمصالح دولة حامية أن تحول دون حقوق الشعب الثابتة في تقرير مصيره بكامل الحرية "(الفاسي علال، 2003: 91). ورسخت الإدارة الفرنسية في تونس مفهوم الحماية عن طريق سلسلة من الاتفاقيات بداية باتفاقية باردو التي وضعت تونس تحت الاحتلال حيث " وقع الباي على اتفاقية باردو بتاريخ 12 ماي 1881م والتي كرست هيمنة فرنسا على البلاد التونسية ، ومع ذلك لم تجرد الباي محمد الصادق من كامل سلطته وكأن فرنسا أرادت بذلك الاكتفاء بضمان نفوذها في البلاد التونسية على حساب بقية القوى الأوروبية ، غير أنها حرمت الباي من تسيير شؤون البلاد الخارجية "(المحجوبي

علي، 1989 : 60) وبذلك حسمت فرنسا مستقبل تونس الذي أصبح جزءاً من الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية في الوطن العربي وإفريقيا و بقية العالم ، وقد أتمت الحكومة الاستعمارية مخططها وذلك بتوقيع اتفاقية أخرى وهي اتفاقية المرسى في 08 جوان 1883م ، " والتي مكنت فرنسا من بسط نفوذها الفعلي على البلاد التونسية ،وإذا كانت معاهدة باردو قد جعلت فرنسا تسيطر على شؤون الإيالة الخارجية فحسب ، فإن معاهدة المرسى مكنتها من التدخل في الشؤون الداخلية مع الإبقاء على سلطة الباي الذي ارتمى في أحضان فرنسا عندما التزم بإجراء الإصلاحات الإدارية التي تراها سلطات الاحتلال صالحة ، وكذلك بعدم عقد أي قرض دون إذن حكومة الجمهورية " (المحجوبي علي، 1989 : 89). واتفاقية المرسى التي وقعت في 1883/06/08م " ذُكرت فيها لفظة الحماية لأول مرة، لم يتولد عن رغبة في تمكين التونسيين أكثر في الاستقلال " (جوليان شارل أندري، 1976: 91) ،هذه الرغبة بدأت في التطبيق منذ ظهور الحزب الدستوري القديم 1920م والذي طالب بإصلاحات، ثم الحزب الدستوري الجديد الذي قاده مجموعة من الشبان المتحمسين لفكرة الاستقلال الوطني، ومن أبرز هؤلاء الحبيب بورقيبة وانتهى نضالهم بفتح مفاوضات حول الحكم الذاتي ثم بعد ذلك الاستقلال الكامل، "وإثر إمضاء على برتوكول الاستقلال في 1956/03/20م تغيرت أشكال وخصائص التواجد الفرنسي العسكري بالبلاد التونسية عامة، ونظراً لعدة اعتبارات تصورت القيادة العليا الفرنسية تنظيماً جديداً لقواتها في تونس، من هذه الاعتبارات الحرب التحريرية الجزائرية وما فرضته من ضرورة التخفيف من عدد الجنود الفرنسيين في تونس قصد إرسالهم إلى الجزائر، إلى جانب بلورة نظام دفاعي مشترك تحتل فيه بنزرت مكانة متميزة "(اليزيدي بشير، 2008 : 69).ويمكن القول أن اتفاقيات الاستقلال الوطني، لم تفصل في مسألة التواجد العسكري في تونس حيث "تجاهلت اتفاقية 1955/06/03م للاستقلال الداخلي قضية المناطق العسكرية الفرنسية بتونس، فإن ذلك لم يكن أمراً مفاجئاً حيث ضمنت الاتفاقية بفعل تطبيقها كل مستلزمات الحضور العسكري الفرنسي، بل سمحت الاتفاقية في ملحقها الرابع للفرنسيين بحق امتلاك شرطة خاصة بمدينتي بنزرت وفيري فيل "(أعمال الندوة السنوية التاريخية

لمدينة بنزرت سنوات 1998/1997، 1999 :89). أما لماذا اهتمت فرنسا بقاعدة بنزرت فذلك لأسباب :

1- وجود قاعدة عسكرية فرنسية في تونس يترجم التواجد الدائم لمصالح الحكومة الفرنسية في شمال إفريقيا.

2- الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية التي تمثلها تونس بصورة عامة وبنزرت بصورة خاصة بالنسبة لفرنسا والحلف الأطلسي، حيث " أكدت بعض التقارير على تميز قاعدة بنزرت ضمن هذه السلسلة من الثغور باعتبارها مفتاح أو بوابة الحوض الغربي للمتوسط ،خاصة وأن هناك إشارة إلى احتمال التخلي عن قاعدة مالطة(قاعدة بريطانية)،ولذا فإن غلق الحوض يعتمد على قاعدة بنزرت كما أنها تتحكم في النشاط البحري بين الغرب والشرق ،علاوة على مراقبة الملاحة وحماية المواصلات في المتوسط، فهي تساهم في تغطية وفي الدفاع عن الحوض الغربي وعن المغرب العربي وبصفة أدق على المصالح الفرنسية المتواجدة بهما، كما تضمن حماية وأمن الوحدات العسكرية المتنقلة من فرنسا إلى المغرب العربي"(اليزيدي بشير، 2008 : 71) ، كما أن بنزرت تتحكم في الحوضين الغربي والشرقي للبحر المتوسط.

3- معاقبة جمهورية تونس المستقلة حديثاً حول ما تقدمه من دعم مادي وسياسي ودبلوماسي للقضية الجزائرية ولثورتها التحريرية،وهذا ما أبرزته المجاهد في عددها 101 المؤرخ بـ 31 يوليو 1961م بقولها " إن المفاوضات الجزائرية الفرنسية قد انقطعت مرة أخرى، بسبب تعنت الحكومة الفرنسية ورفضها الاعتراف بوحدة التراب الجزائري،وليس من الغريب أن تنقطع هذه المفاوضات بعدما حدث في بنزرت، فقاعدة بنزرت ليست لها أهمية في الدفاع عن أوروبا الغربية إذا كانت هذه الأخيرة عرضة لهجوم أوروبا الشرقية كما يزعمون، ولكن هذه القاعدة لها أهمية بالغة في الحروب الصغيرة كالحرب الاستعمارية التي تخوضها فرنسا بالجزائر منذ سبع سنوات، لقد ظهر الوفد الفرنسي بمظهر المتحرر المتفهم تجاه القضية الجزائرية في الوقت الذي تشتد فيه أزمة بنزرت ويتسع فيه نطاق التضامن ضد الاستعمار الفرنسي"(المجاهد ، ع. 101 ، 31 يوليو 1961 :1).

4- يمكن لقاعدة بنزرت في نظر الحكومة الفرنسية حماية مصالح الدول الرأسمالية في حوض البحر الأبيض المتوسط،ومنافسة قوى أخرى في المنطقة خاصة بريطانيا التي لها مصالح إستراتجية في جبل طارق .

بدأت المفاوضات الفرنسية التونسية حول مبدأ الحكم الذاتي والمصالح السياسية والاقتصادية وحقوق الجالية الفرنسية في تونس، أما فيما يخص بنزرت فقد تضمنت اتفاقيات 03 جوان 1955م " على احتفاظ فرنسا بصلاحيتها كاملة في الشؤون الخارجية والعسكرية، وبالتالي مصالحها الحيوية داخل قاعدة بنزرت التي لم تكن لذلك في حاجة إلى بند خاص نص على وضعها القانوني،لكن مع ذلك فقد تم التأكيد في الملحق الثاني التابع للاتفاقية العامة على أهمية بنزرت كميناء عسكري على المستوى الاستراتيجي، أما الملحق الرابع لهذه الاتفاقية العامة فقد حدد منطقة بنزرت التي سمح فيها للسلطات الفرنسية بممارسة نفوذ أمني واسع علاوة على نفوذها العسكري"(آيت ميهوب علي، 2014 : 409).

ومن هذا المنطلق سعت الحكومة التونسية بكل الوسائل السلمية المتاحة المطالبة باستعادة بنزرت وذلك عن طريق فتح مفاوضات رسمية بين الحكومتين، حيث " فتحت لأول مرة مفاوضات رسمية بين مبعوثين تونسيين ومبعوثين فرنسيين في روما الغرض منها هو بحث جوهر المشكل، إن تونس التي تمتلك مبدأ التحرر الكامل من الاستعمار الفرنسي الذي كشفت الحوادث عن طابعه العدائي،فإنها تعتبر مشكلة الجلاء أمراً مطروحاً بالرغم من الاتفاق المؤقت الذي وقع في شهر يوليو 1961، إن الشعب الجزائري يساند بكل قواه الكفاح العادل الذي يخوضه الشعب التونسي من أجل التحرر من بقايا الاستعمار في أقرب وقت،ومما يزيد في قوة تأييدنا للشعب التونسي الشقيق هو أن احتلال قاعدة بنزرت من طرف القوات الأجنبية، يشكل خطراً ليس فقط ضد الشعب التونسي بل وكذلك ضد الشعب الجزائري الذي هو في حالة حرب "(المجاهد ، ع. 109 ، 11 ديسمبر 1961 : 2).

كما تقدم الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية آنذاك بمطالب إلى الحكومة الفرنسية في هذا الشأن،تخص فتح باب التفاوض حول الجلاء ومن بين ما قدمه في هذا الشأن البيان المؤرخ في 07 أبريل 1960 حيث قال :" إن الجانب الفرنسي يؤكد أنه باق في بنزرت ما لم يتم الاتفاق فهل هذا من المنطق السليم في

شيء ؟.وبالإضافة إلى ذلك فإن إحدى الرسائل المتبادلة والصادرة من الطرف الفرنسي، أكدت أن فرنسا لا تنوي إبقاء أي جندي من جنودها مرابطاً بتراب الجمهورية التونسية بدون موافقة الحكومة التونسية، ولذلك فإن لي أن أتساءل ما الذي يبرر الآن بقاء جيوش فرنسا وسلطتها وبدلتها العسكرية وعلمها في بنزرت ؟، إنها القوة الغاشمة وهو الفهم الملتوي لمدلول كلمات وردت في رسالة ترمي إلى تأجيل في النظر وفتح المفاوضات عسى أن تصل إلى اتفاق وقتي "(بورقيبة الحبيب، 1961 : 20).إلى أن نية الحكومة الفرنسية لم تكن واضحة بشأن الجلاء، بل تصرفت تصرف المحتل الغاصب لذا قرر الحبيب بورقيبة خوض معركة الجلاء بمساعدة الشعب التونسي،ظهر ذلك من خلال البيان الذي وجهه إلى الجماهير التونسية بتاريخ 14 يوليو 1961م حيث قال : " نحن مازلنا على رأينا من أنه إذا تم التخلص من الاحتلال الأجنبي،فأنا على استعداد للتفاهم والتعاون،وأن الجلاء التام الكامل الناجز من شأنه أن يسهل ويقوي فاعلية التعاون ويمكننا من فرص أكثر وإمكانيات لا سبيل لإدراكها، إذا كانت القلوب لا يغمرها الصفاء ولا تكون القلوب صافية إلا إذا تخلصت السيادة التونسية من جميع مخلفات العهد البائد وإلا إذا تحرر التراب التونسي من الاحتلال الفرنسي، وعليه فقد قررنا هذه المرة البدء في معركة الجلاء وعدم الاستعداد لتأجيلها كما حدث في يناير 1960م، أو توقيف تيار الشعب وحماسه أو إلغاء الخطط المسطرة إلى أن يجلو آخر جندي من الجيوش الفرنسية عن التراب التونسي"(بورقيبة الحبيب، 1961 :37). وقد جهزت الحكومة الفرنسية قواتها المرابطة في تونس لمواجهة أي احتمال "فمنذ شهر فبراير 1960م بدأت السلطة الفرنسية تستعد لكل حالات تؤثر في علاقاتها مع الحكومة التونسية، وتتخذ كل الإجراءات العملية ضد كل هجوم محتمل وأتت التعليمات من الوزارة الأولى الفرنسية، في شكل سيناريوهات لكل شكل من أشكال تعرض قواتها في بنزرت لخطر ما " (اليزيدي بشير، 2008 : 78)وأمام هذا التحدي لم تبق تونس مكتوفة الأيدي كما أنها لم تبق لوحدها في ساحة النضال،بل وقفت إلى جانبها كل من الجزائر والمغرب وكان ذلك دعماً سياسياً قوياً حيث نادت " شعوب المغرب العربي في مؤتمر طنجة أبريل 1958م بوجوب التخلص من مخلفات الاستعمار الفرنسي وفي مقدمتها القواعد العسكرية، وقد

تبين أن التخلص من هذه المخلفات لا يقل أهمية من الاعتراف بالاستقلال كما تبين أن الكفاح للتخلص من مخلفات الاستعمار لا يقل أهمية ولا صعوبة عن الكفاح في سبيل الاستقلال نفسه،وأن عدم التنسيق في سياسة بلاد المغرب العربي قد شجع الاستعمار الفرنسي للاعتداء على بنزرت"(المجاهد، ع. 101، 31 يوليو 1961 :5).واتضح موقف الجزائر الثائرة من خلال وزراء حكومتها المؤقتة ، ففي شهر جويلية جرت اتصالات مباشرة بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والحكومة التونسية " وفي هذه المحادثات أُثيرت قضية جلاء القوات الفرنسية عن بنزرت ، حيث صرح الوفد الجزائري إلى الوفد التونسي أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مستعدة لتقديم مساهمتها بالرجال والعتاد في الكفاح الذي يقوده الشعب التونسي الشقيق من أجل تحرير بنزرت "(عقيب محمد سعيد، 2014 : 14) كما نبهت الحكومة المؤقتة إلى خطورة الوضع في تونس ، وأنه لابد من تضافر جهود دول المغرب العربي لإزالة الاستعمار الفرنسي نهائيا من أقطار المغرب العربي ، حيث " أفضى محمد يزيد وزير الأخبار في الحكومة المؤقتة يوم السبت 22 جويلية بالتصريح التالي ، إن العدوان الذي يجري الآن بجهة بنزرت غير موجه إلى تونس وحدها بل المغرب العربي كله ، وهذه العملية تعد امتداد للحرب التي يواصلها الاستعماريون منذ غرة نوفمبر 1954م "(عقيب محمد سعيد، 2014 : 15).

قراءة في أزمة بنزرت من وجهة نظر المجاهد :عالجت جريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الجزائرية خلال ثورتها التحررية، أزمة بنزرت في قرابة 11 مقال بين عناوين رئيسية و أخرى ثانوية في الفترة الممتدة مابين يوليو 1961م إلى غاية ديسمبر 1961م، وعالجت الأزمة من وجهة نظر مختلفة سياسية وعسكرية، كما تطرقت إلى موقف الثورة الجزائرية منها وسبل الدعم الذي يمكن أن تقدمه الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية للشقيقة تونس في محنتها، وشرحت سير الأحداث وموقف هيئة الأمم والقوى الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي منها.وما يلفت الانتباه من خلال هذه المقالات هو الحرص الشديد من القائمين على المجاهد في تلك الفترة، أن هذه القضية هي قضية

الجزائر،وأنها تدخل في إطار تصفية الاستعمار من شمال إفريقيا كما ألحت في التأكيد على عدالتها.

بدأت هذه الأحداث لما قامت القوات المرابطة ببنزرت بتوسعة المطار العسكري بثكنة سيدي أحمد فتصدت قوات الحرس الوطني التونسي فوراً للعملية، هذا التحرك أغضب كثيراً فرنسا ففي 1961/07/01م استقبل السفير الفرنسي في تونس كل من الوزير الأول التونسي ووزير الخارجية ليبلغهما عدم تقبل فرنسا لهذا التحرك، وفي 1961/07/04م عقد الحزب الدستوري جلسة طارئة أكد على فشل المفاوضات وتتوالى الأحداث ففي اليوم الموالي قرر الحزب خوض معركة الجلاء، ومباشرة بعد خطاب رئيس الجمهورية الحبيب بورقيبة خرج الآلاف من المواطنين ومعهم الجيش التونسي لحصار القاعدة وطرد المحتل منها، إلا أن القوات الفرنسية المرابطة في القاعدة مدعومة بقوات جوية ردت الهجوم وسقط الكثير من الشهداء، ووقفت الجزائر الثائرة إلى جانب الشقيقة تونس رسمياً وشعبياً من خلال البرقية التي بعث بها رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إلى الرئيس بورقيبة هذا نصها : " أمام الاعتداء الفظيع المسلط على الشعب التونسي في بنزرت، نؤكد لكم تضامننا الكامل ونندد مرة أخرى بهذه الجريمة الاستعمارية الجديدة، إننا واثقون من أن الشعب التونسي الشقيق سيخرج منتصراً من هذه المحنة"(المجاهد، ع. 101، 31 يوليو 1961 :10).

كما ساندت أجهزة الحكومة المؤقتة ومنها وزارة الأخبار بنزرت الجريحة ببيان جاء فيه " إن العدوان الموجه ضد الشعب التونسي في بنزرت، يعد عدواناً ضد كل الشعوب التي تكافح من أجل تحرير بلادها تحريراً كاملاً من الاستعمار ومخلفاته، إن الشعب الجزائري وحكومته ما انفكا يؤيدان اليوم أكثر من وقت مضى الكفاح الذي يقوده الشعب التونسي من أجل تحرير بنزرت. كما وضح البيان فحوى المحادثات التي جرت بين الحكومتين الجزائرية والتونسية، وصرح الوفد الجزائري للوفد التونسي أن الحكومة المؤقتة مستعدة لتقديم مساهمتها بالرجال والعتاد في الكفاح الذي يقوده الشعب التونسي من أجل تحرير بنزرت " (المجاهد، ع. 101، 31 يوليو 1961 :10). وللعلم فإن هناك جيش الحدود التابع لجبهة التحرير الجزائرية، كان يتدرب على الأراضي التونسية خدمة للثورة

الجزائرية، بإمكانه حسب الحكومة المؤقتة مساندة الجيش التونسي لاسترداد بنزرت .

وصف الكثير من الباحثين جسامة هذه الأحداث وأثرها في مسيرة النضال التونسي وتأثيرها الخارجي لاستكمال موجة التحرر في العالم الثالث،ومن النماذج هذا الوصف جاء ما يلي ففي " يوم الأربعاء 19 يوليو 1961 حوالي الساعة السادسة وعشرون دقيقة مساءاً، كان الجو خانقاً ينبئ بانفجار وعلى بعد أمتار من قاعدة سيدي أحمد والتي كانت محاطة برجال أشداء ربضوا في خنادق حفرت خصيصاً لمثل هذه المواقف،وفجأة دوت في الجو أولى رصاصة من حلقة متواصلة من الرصاص وزاد الهلع بالوحوش فاستعملوا كل ما لديهم من قوة وصوبوا مدافعهم وطلعت طائراتهم التي شاركت في الرمي،ثم تأتي الأنباء إلى المدينة تحمل في طياتها أخبار المعركة وأصداءها ويبلغ المجاهدين استشهاد نخبة من خيرة الشباب التونسي في خضم هذه المعركة "(الداودي رشيد، د. ت.: 91- 93- 94) .وفي الاتجاه الآخر جاء الوصف التالي " كانت المشاهد محزنة الدماء في كل مكان،في الشوارع والأحياء نتيجة المواجهات بين الجيش والمتظاهرين،العمارات خربت والنوافذ كُسرت والمياه والكهرباء انقطعت،وفي صبيحة يوم 1961/07/20م امتلأت مصلحة حفظ الجثث بالأموات والضحايا،خاصة من الأطفال الفرنسيين والايطاليين والأوروبيين الذين لم يسلموا من هذه الحوادث إنها تراجيديا حقيقية"(Patrick Charles renard (S.D):148). إن هذا التصوير للأحداث يؤكد فداحة ما جرى في بنزرت،كما يؤكد غطرسة الاستعمار الفرنسي وتعنته في عدم الاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها، وهذا ما وضحته المجاهد في المقالات الأولى لما بدأت الأزمة " فالاستعمار يقعد الدنيا ويقيمها كما تقول المجاهد، فهو يجد من الطبيعي أن يعتدي علينا نحن معشر العالم الثالث، ويخير أسماء بعض البلدان ليطلق عليها الاسم الذي كان زمن الاستعمار (الحماية)، هو شيء طبيعي في فرنسا والغرب لا يتطلب استنكاراً ولا يستلزم ضجة ولا يستوجب اجتماع الأمم المتحدة،لقد عارضت الولايات المتحدة الأمريكية الدورة الاستثنائية التي دعت إليها تونس، عارضت لأن تونس أرادت أن تبحث عن حل خارج النطاق الغربي، لأن تونس تجرأت على طلب إعانة العالم الثالث وهذا هو

الذنب الذي لا تهضمه فرنسا والغرب ،فهذه هي الجريمة التي لا يغفرها الغرب"(المجاهد ، ع. 102، 28 أوت 1961 :4).

زوايا معالجة المجاهد لأزمة بنزرت : حاولت جريدة المجاهد الثورية أن تقدم تحاليل لأزمة بنزرت 1961م من زاويتين مختلفتين :

أ/ داخلياً من خلال طرح موقف الثورة الجزائرية الرسمي والشعبي من الأزمة ووصف المقاومة التونسية للتواجد الاستعماري الفرنسي في القاعدة وإجبار الحكومة الفرنسية على الجلاء،ثم ما يمكن أن تقدمه الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية للحكومة التونسية من مساعدة حتى تتجاوز محنتها،ففي 31 يوليو 1961م صدر مقال عنوانه – أزمة بنزرت والمفاوضات الجزائرية الفرنسية درس في الأخوة – جاء فيه ما يلي " في يوم 17 يوليو صدر بلاغ من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية،وبلاغ من الحكومة الفرنسية يعلنان عن موعد استئناف المفاوضات في قصر لوغران، وفي 19 يوليو بدأت حوادث بنزرت، وفي يوم 20 يوليو أصدرت الحكومة المؤقتة بلاغاً آخر تعلن فيه استعدادها لوضع كل ما عسى أن تحتاج إليه تونس الشقيقة من إعانات في الرجال والعتاد لمجابهة العدوان الفرنسي على بنزرت "(المجاهد، ع. 101، 31 يوليو 1961 :3). كما أن محنة تونس لاقت تعاطف كل فئات المجتمع الجزائري، ففي المقال ذاته ورد ما يلي " لقد أصدرت المنظمات الوطنية الجزائرية وهي منظمات الطلبة واتحاد الشباب والاتحاد النسائي، بلاغاً تعلن فيه استعدادها للمساهمة العملية في معركة بنزرت، وتوالت منذ ذلك الحين وفود الجزائريين من عدة جهات من تونس على السلطات التونسية لتقدم قوائم المتطوعين في المعركة...إن الجزائر تناضل وحدها منذ سبع سنوات عدواً قاسياً سلاحه الإرهاب والموت، تجد ذلك العدو نفسه قد انتقل بعدوانه من أرض الجزائر إلى أرض تونس، فماذا تفعل الجزائر في هذه اللحظة؟ إنها تعرف أن نجدة شقيقتها نجدة عملية وحقيقية، ستوقف مفاوضات السلم بالنسبة للجزائر إذن هل تضحي بتضامنها مع تونس الجريحة ؟، إنها تعرف أن التاريخ لن يغفر لها هذا (التخلي) عن تونس الشقيقة في ساعة حرجة من تاريخها" (المجاهد، ع. 101، 31 يوليو 1961 :3) . ونبهت المجاهد إلى ضرورة تكاثف الجهود لمجابهة العدو الفرنسي،وبينت أهداف سياسة ديغول في شمال إفريقيا ففي مقال عنوانه – بنزرت

البركان الذي فجر المتناقضات – ذكرت " أن السياسية الديغولية تقوم على بث التفرقة بين الأشقاء، والعمل على تجزئة النضال ضد الاستعمار من خلال تفكيك التضامن بين تونس والمغرب،فاللهجة التي استعملها ديغول مع محمد الخامس في البرقية التي وجهها له بمناسبة استلامه الحكم في جوان 1958م، واللهجة التي استعملها في نفس المناسبة مع الرئيس بورقيبة مشعراً الأول أنه له حظوة في باريس لم يتوصل الثاني إلى نيلها،واستخدم ديغول العنف لإرهاب تونس وتهديدها ثم مفاجأتها بإعلان استعداد باريس للتفاهم معها حول الجلاء حتى تفكك الجبهة الجزائرية التونسية، على أن ديغول لم يساير منطق الجلاء إلى النهاية، لأن هناك منطق آخر يعارضه هو منطق الاستعمار ومن ثمة بقت بنزرت بيد الفرنسيين الذين يعتبرونها قاعدة أساسية لخنق الثورة الجزائرية عن طريق البحر"(المجاهد، ع. 101، 31 يوليو 1961 :6). وندد الاتحاد العام للعمال الجزائريين بما يحدث في بنزرت من تجاوزات استعمارية، ودعا كل القوى الكادحة إلى التضامن مع الشقيقة تونس، كما دعا هيئة الأمم المتحدة إلى لعب دورها في تسوية قضية الجلاء للقوات الفرنسية من القاعدة، ففي مقال مؤرخ في 1961/08/28م بعنوان – العمال الجزائريون وتونس – جاء ما يلي " بمناسبة يوم التضامن مع تونس في كفاحها لتحرير بنزرت، بعث الاتحاد العام للعمال الجزائريين برقية إلى الاتحاد العام للعمال التونسيين، أعرب له فيها عن تضامن الطبقة الشغيلة الجزائرية مع الشعب التونسي الشقيق، كما نددت بالجرائم التي يرتكبها الجنود الفرنسيين المرتزقة ضد شعب يطالب بتحرير بلاده، وبعث ببرقية مماثلة إلى همرشولد الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة ندد فيها بالأعمال الوحشية التي قام بها الجيش الفرنسي في بنزرت ..."(المجاهد، ع. 102 ، 28 أوت 1961 :2).

ب/ خارجياً حيث أظهرت بعض المقالات الموقف الدولي من أزمة بنزرت،ففي مقال بعنوان- قصة أمريكا وبنزرت- بتاريخ 14 أوت 1961م حيث قالت أن " مجيء كنيدي إلى الحكم بدعاية واسعة تظهره بمظهر الرئيس الثوري المتحرر الذي جاء ليعيد إلى أمريكا تقاليدها الثورية المعادية للاستعمار، ولينصف الشعوب الضعيفة ويعينها على التخلص من براثن الاستعمار الغربي،وتوالت تصريحات المسئولين الأمريكان الجدد على ضرورة القضاء على الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة

ومساعدة الشعوب الفتية في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية على تحقيق استقلالها الوطني، وإذا كان كثير من الناس قد انخدعوا بهذه الدعاية القوية فإننا لم نتأثر بهذه التصريحات،حيث طلعت الصحف الأمريكية بمقالات كلها تهاجم موقف الحكومة التونسية والرئيس الحبيب بورقيبةّ، وعندما طرحت قضية بنزرت أمام مجلس الأمن كان موقف الحكومة الأمريكية إلى جانب الحكومة الفرنسية وضد تونس للمطالبة بحقها العادل والمشروع،ولما طالبت تونس بدورة استثنائية لهيئة الأمم المتحدة بدأت أمريكا تبذل مساعي حثيثة لمنع تونس من الحصول على خمسين صوتاً الضرورية لدعوة الجمعية العامة، وأعلنت رسمياً معارضتها عقد دورة استثنائية،وبالرغم من ذلك لم تستطع أن تزحزح تونس عن موقفها وتمنعها من الحصول على الأصوات الضرورية " (المجاهد ، ع. 102 ،14 أوت 1961 :4). وفي حقيقة الأمر الذي ضغط في الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة حتى تدرج مسألة بنزرت في المناقشات،هي دول التضامن الأفروأسيوي، ففي مقال بعنوان – الجلاء عن بنزرت ضرورة حتمها الاعتراف بالسيادة التونسية – المؤرخ في 11 سبتمبر 1961م كانت الفقرات التالية " طالب رؤساء الدول غير المنحازة بجلاء القوات الفرنسية فوراً عن التراب التونسي، نظراً لحق تونس الشرعي في ممارسة سيادتها الوطنية الكاملة وفي حماية حرمة تراب تونس الشرعي وممارسة سيادتها الوطنية،ويروون أنه من واجب المجموعة العالمية أن تواصل بذل كل ما في وسعها لوقف التدخل الأجنبي في شؤون الدول الإفريقية "(المجاهد، ع. 103 ، 11 سبتمبر 1961 :12) .ومن خلال هذا حاولت المجاهد شرح ما حدث خلال هذه الأزمة،وتحليل الوضع الداخلي في تونس والموقف الدولي منها، كما بينت موقف الثورة الجزائرية من أزمة بنزرت 1961م.

خاتمة: إن الثورة الجزائرية أعلنت منذ بداية أزمة بنزرت 19 يوليو 1961م وعلى لسان جريدتها المجاهد دعمها المطلق لتونس،وبالرغم من وجود الجزائر في تلك الفترة تحت نير الاستعمار،إلا أن الموقف الرسمي الممثل في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والموقف الشعبي الممثل في المنظمات الجماهيرية عرضتا على الجمهورية التونسية أشكال الدعم الذي يمكن أن تحتاج إليه، وهذا ما وضحته الجريدة في عدة مقالات، كما دعت إلى ضرورة توحيد الكفاح في المغرب العربي

لمجابهة غطرسة الاستعمار الفرنسي، وشرحت الوضع الدولي وموقفه من هذه الأزمة. ولما اشتدت المجابهة بين القوات الفرنسية والشعب التونسي، وفي ظل الظروف المعقدة وقفت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مع محنة بنزرت، وحاولت أن تقدم يد العون رغم استمرار ثورتها إلى الجمهورية التونسية، وهذا ما أبرزته جريدة المجاهد في كثير من المقالات ، حيث شرحت حيثيات هذه الأزمة وظروفها الدولية، وأشكال المساعدة التي يمكن أن تقدمها الحكومة المؤقتة إلى سكان بنزرت، كما بينت موقف هيئة الأمم المتحدة والمجتمع الدولي من الأزمة.

الهوامش

1- أزغيدي محمد لحسن (1989). مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956- 1962. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

2- آيت ميهوب علي (2014).بنزرت والاستعمار بحث في السياسة الاستعمارية والحركة الوطنية في جهة بنزرت 1924م- 1956م .تونس : حقوق النشر محفوظة للمعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية .

3- - بورقيبة الحبيب (1961). معركة الجلاء ، من خطب الحبيب بورقيبة من 05 فبراير 1959م إلى 17 يوليو 1961م . تونس : منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية .

4- بدون اسم (1997). «جريدة المجاهد ». الرؤية،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م . س3 ، ع3،ص ص217/218.

5- بدون اسم (1999).بنزرت عبر التاريخ ،أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت سنوات1997 /1998.تونس : جمعية صيانة المدينة بنزرت نهج الجامع الكبير بنزرت.ص89

7- جوليان شارل أندري (1976). إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية ، ترجمة منجي سليم وآخرون . تونس : الدار التونسية للنشر.

8- الداودي رشيد ، حجي محسن (بدون تاريخ). بنزرت أرض البطولات . تونس : مطبعة الجمهورية .

9- عواطف عبد الرحمن (1985). الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954- 1962. الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب.

10- الفاسي علال (2003). الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، طبعة جديدة . المغرب: مؤسسة علال الفاسي .

11- المحجوبي علي ،(1989) . انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، تعريب عمر بن ضو ، حليمة قرقوري .تونس : ليبراس للنشر

11- المجاهد(28 أوت 1961م،ع 102. ص4

12 - المجاهد(11 ديسمبر 1961م)، ع 109. ص2

13- المجاهد(31 يوليو 1961م)، ع 101. ص5

14- المجاهد(31 يوليو 1961م)، ع 101. ص10

15- المجاهد(28 أوت 1961م،ع 102. ص4

16- المجاهد(31 يوليو 1961م)، ع 101. ص3

17- المجاهد(28 أوت 1961م)، ع 102. ص2

18- المجاهد(14 أوت 1961م)، ع 102. ص4

19- المجاهد(11 سبتمبر 1961م)ع 103. ص12

20- اليزيدي بشير (2008) . بنزرت والعلاقات الفرنسية التونسية الرهانات والمصالح ،أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت سنوات 2003/2004/2005. تونس : الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم .

21- عقيب محمد سعيد (2014) "الثورة الجزائرية وأزمة بنزرت (تونس)1961" مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، جامعة غرداية ، ردمد7163 - 1112، المجلد7، (ع2)، 28.11

22- El moudjahid, Office Des Publications, Belgrade,1956

23- Patrick Charles renard (sans date). La bataille de Bizerte-19 au 23 juillet 1961: Harmattan , histoire et perspectives méditerranée .